العوائق المعرفية للإبداع في الفكر الفلسفي العربي

د. آسيا واعر(*)

ملخص الدراسة

لقد أسهم الفكر العربي عموما والفلسفي خصوصا في تحقيق الرقي والتقدم الإنساني، وهذا في مختلف المجالات والميادين العلمية والأدبية والفنية، تراث ضخم أدى إلى إقامة أرقى حضارة عرفها الفكر الإنساني عبر تاريخه الطويل كما كان سببا لإرساء أسس متينة لقيام حضارات إنسانية أخرى.

ومع هذا فإنّ بعضا من الدراسات نجدها تضرب بإنتاجية الفكر الفلسفي العربي عرض الحائط ولا ترى فيه سوى اجترارا و إعادة صياغة لما أنتجه وأبدعه الآخر الأمر الذي أدى إلى طرح إشكالية ما مدى مصداقية هذا القول، و إلى أي مدى يمكن اعتبار الفكر الفلسفي العربي فكرا أصيلا. أصالة نرى أنها ترتبط ارتباطا مباشرا بما أبدعه الفكر الفلسفي العربي وأحدثه على غير مثال سابق، ما الجديد الذي أتى به من دون أن يستند إلى أي موروث سابق.

تهدف دراستنا هذه إلى إعادة النظر في إنتاجية الفكر الفلسفي العربي كفكر خاض غمار البحث في الكون ولإنسان لا من خلال ما قاله الآخر و إنما من خلال رؤيته ومن خلال إبداعه أيضا، وهذا سواء في طرح القضايا الفلسفية أو في تحليلها، لنجد أنّ أبرز مجالين قد تم فيهما هذا الإبداع الفكري لا يكاد يخرج عن دائرتي علم الكلام، والتصوف ممارستان فكريتان نبعا من عمق أصالة الفكر العربي.

تجدر الإشارة إلى أنّ هناك العديد من الدراسات والأبحاث في الدرس الفلسفي، إلا أنّ المتأمل فيها يجد أنّ غالبيتها تصب في قالب واحد ألا وهو التماهي في فكر الآخر وضياع الأنا

(*) جامعة عنابة - الجزائر.

الفكري، سواء في تحليل الفكرة الفلسفية أو الإشادة بقائلها، وعلى أقصى تقدير بتقديم نقد لرؤى الآخر، وبالمقابل نجد أنّ الرؤية الفلسفية الخالصة للقضايا تكاد تنعدم، الأمر الذي دفعنا إلى البحث عن العوائق التي تحيل دون هذا الإبداع لنجده مرتكزا في ضياع أسس فعل التفلسف وفي تماهي الأنا في فكر الآخر جملة وتفصيلا.

مقدمة

يعتبر الفكر الفلسفي العربي فكرا غزيرا في مباحثه ومجالاته، و إذا كنا نتحدث على جانب من أصالته فقد حُصرت في محطات ثلاث تمثلت في علم أصول الفقه، علم الكلام والتصوف، محطات لم تتأثر في فكرها وفي قضاياها بأي موروث سابق، محطات أسسها العقل العربي منذ أمد بعيد ولا زلنا نشتغل عليها لحد الساعة، وهنا نتساءل عن سبب توقف العقل العربي عن إبداع وعن استشكال قضايا أو مباحث جديدة، ولماذا ظل يدور في نفس الحلقة من البحث والدرس، هذا من جهة ومن جهة أخرى نتساءل عن القيمة المعرفية والعلمية التي ضمنتها الفلسفة العربية المعاصرة

إنّ الحديث عن الفكر الفلسفي العربي الإسلامي لا يزال - عند الكثيرين - سواء في الفكر الغربي أو حتى عند بعض من المفكرين العرب، لا يزال ينظر إليه على أنه مجرد صورة مكررة لفكر الآخر، وهنا يحضرنا قول «**أرنست رينان**» في أنّ الفلسفة العربية ما هي إلا فلسفة يونانية بحروف عربية، وهذا بحجة أنّ القضايا التي استشكلتها هذه الأخيرة قد أعيد صياغتها في الفكر العربي وأضيف عليها أمورا لا تفيد الفكر في شيء أي لم يكن هناك جديد قد أضيف إليها، وهذا يؤدي بنا إلى القول بألا وجود لحركة فلسفية في الفكر العربي، و إن كنا لا نتفق مع هذا الرأي بحجة أنّ للفكر العربي فلسفته الخاصة ومباحثه التي ننظر فيها بالنظر الفلسفي والبرهان المنطقي، وتحليل هذا ليس موضعه الآن، فإنا نبحث عن الأسباب التي أدت بجمود الفكر والتوقف عن الإبداع فيه، أسباب بحثنا فيها من خلال استقراء التجربة الواقعية ومما يدور في ساحة الفكر في الوقت الراهن، نحاول قدر الإمكان أن نلفت الانتباه إلى إعادة النظر في إنتاجنا الفكري وفي منهج التفكير والدرس أيضا، وتحليل هذا في العناصر التالية:

١ـ في ماهية الإبداع

الإبداع - création - cretion- هو إحداث شيء على غير مثال سابق، وعند البلغاء اشتمال الكلام على عدة ضروب، من البديع أما في اصطلاحه الفلسفي فله عدة معان: هي:

الأوّل: تأسيس الشيء عن الشيء، أي تأليف شيء جديد من عناصر موجودة سابقا، كالإبداع الفني، والإبداع العلمي، ومنه التخيل المبدع في علم النفس.

والثاني: إيجاد الشيء من لا شيء كإبداع الباري سبحانه وتعالى، فهو ليس بتركيب ولا تأليف، و إنما هو إخراج من العدم إلى الوجود، وتجدر الإشارة إلى أنّ هناك فرق بين الإبداع والخلق، فالإبداع هو إيجاد شيء من لا شيء، والخلق إيجاد شيء من شيء، لذلك قال الله تعالى في غير آية من الآيات الواردة في القرآن الكريم ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ [البقرة: ١١٧]، ولم يقل بديع الإنسان، بل قال خلق الإنسان، لذا يكون الإبداع أعم من الخلق.

أما الثالث: فهو إيجاد شيء غير مسبوق بالعدم، و يقابله الصنع، وهو إيجاد شيء مسبوق بالعدم(١).

و المتأمل في هذه التعريفات يجد أنها تصب في قالب واحد ألا هو الإتيان بكل ما هو جديد مغاير لما سبق، سواء أكان هذا في الجانب المعنوي أو المادي، في الجانب الفكري أو الشيئي، في اللامرئي والمرئي على اسواء. الأمر الذي أدى بنا إلى البحث عن حركة الإبداع ومنحاه في الفكر الفلسفي عامة والفكر الفلسفي العربي الإسلامي خاصة، وتفصيل هذا في ما يلي:

٢ـ الإبداع في الفكر الفلسفي بين العقل الغربي والعقل الإسلامي

يمكن اعتبار أنّ أية فكرة فلسفية إنما هي إبداعا خالصا للعقل الإنساني، ذلك أنّ الإبداع هو ميزة من ميزات الفكر الفلسفي، سواء أكان إبداعا خالصا أو متولدا، ممارسة طالت جميع أصعدة مجالات الفكر الإنساني، فلم يكن الإنسان في عهده الأول منشغلا بقضايا الساعة، إلا أنه ومع تفاعله مع محيطه الخارجي بدأ يستشكل قضايا كما بدأ يتأمل فيها، قضايا ترتبط به، كما تحقق التفسير والفهم لروابطه مع العالم الخارجي، وهذا بين في النموذجين التاليين:

(١) جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، (د-ط)، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م، ج١، ص ٣١.

أ ـ الإبداع في الفكر الفلسفي الغربي:

إنّ المتتبع للحركة الفلسفية في الفكر الغربي، يجد أنها في حالة إبداع مستمر، وهذا منذ إرهاصاتها الأولى والتي كانت مع العقل اليوناني إلى وقتنا هذا، قضايا متعددة ومباحث مختلفة تناولها العقل الغربي، فتراه يبدع مرة ويجدد فكانت بذلك خاصية الإبداع والتجديد إحدى الخصائص التي تتحكم في مسيرته، التي يمكن أن نعتبر الفلسفة اليونانية منطلقا لها، هذه الفلسفة التي أبدعت في تأملها لهذا الوجود، ونجد أنها اهتمت بالجانب الكزمولوجي فراحت تبحث عن أسرار هذا الكون فكانت المدرسة الطبيعية سباقة في تحليلها لنشأة هذا الكون وفي البحث عن مادته الأولى، فهذا «**طاليس**» يذهب إلى أنّ الماء هو قوام الموجودات بأسرها، ولا فرق بين الموجودات إلا بالاختلاف الحاصل في كمية الماء الموجود فيها، وبالتالي فالماء عند «**طاليس**» هو المادة الأولى التي صدرت عنها الكائنات و إليها تعود ؛ الأمر الذي لم يستسغه «**أنكسمندرس**» وقال باستحالة إرجاع أصل الوجود إلى عنصر الماء، لأن هذا الأخير ذو صفات معروفة معينة تستطيع أن تميزه بها عن المواد الأخرى، ومعنى ذلك أن ثمة صفات تناقض صفات الماء، ومادام الأمر كذلك فلا يعقل أن تكون المخلوقات جميعا على تناقض صفاتها مشتقة من أصل واحد ذي صفة معينة معروفة، إنما أصل الكون مادة لا شكل لها، ولانهاية لها ولا حدود لها، لهذا فقد أرجع أصل الكون إلى الهواء فهو ذو صفات معروفة، يتسع في كل أنحاء الوجود، والحياة في صميمها أنفاسا من الهواء تتردد في الصدر شهيقا وزفيرا، إذن فهو المصدر الأول الذي صدرت عنه جميع الكائنات، كما أنّه مصدرا أولا لوجود بقية الموجودات، فإذا أمعن في تخلخله انقلب نارا، و إذا أمعن في التكاثف انقلب سحابا، ثم أنزل السحاب ماء، ثم تجمد الماء فإذا هو تربة وصخور، هذا وليست الأرض إلا قرصا مسطوحا يسبح في الهواء[1].

ثم تأتي فلسفة السفسطائية، بزعامة «**جورجياس**» و**بروتاغوراس**»، مدرسة لم تكن ترى في هذا الوجود حقيقة بعينها، وقالت بأن الإنسان هو مقياس لكل شيء، موقف تصدى له العديد من الفلاسفة الرافضين لأن يسقط نظام هذا العالم في غيابات الفوضى، وأكدوا على أنّ

(١) لمزيد من التفصيل إرجع إلى: أحمد أمين، زكي نجيب محمود، **قصة الفلسفة اليونانية**، ط٢، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٥م، ص ص ١٨- ٢٧.

هناك حقائق وهناك ضوابط ومناهج توصل إليها، «**كديمقريطس**» و«**سقراط**» و«**أفلاطون**» و«**أرسطو**» وغيرهم.

وعلى ذكر «**سقراط**» فقد عد واحد من أساطين الفكر الفلسفي وكما قال تلميذه عنه - **شيشرون**- فإنّه قد أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، و يقصد بهذا أنه قد غير من منحى الفكر الفلسفي جملة وتفصيلا، فبعد أن كان الفكر متجها إلى تدبر الطبيعة، أتى «**سقراط**» وجعل منه فكرا يتصل بقضايا الإنسان وموضوعاتها المختلفة كالفضيلة والسعادة والحرية والعدالة والحب والأريحية والفن والتربية، فلسفة قائمة بذاتها توارثتها الأجيال جيل بعد جيل[١].

والأمر نفسه بالنسبة لتلاميذه «**أفلاطون**» و«**أرسطو**» اللذان وضعا وأبدعا وبشكل كبير في التأسيس الفلسفي وفي قضاياه الأخلاقية والسياسية والاجتماعية، فما إن يذكر أحدهما إلا يحضر معتا ما أسهما به في الفكر السياسي والمنطق على التوال، مباحث لا يزال العقل الإنساني يعتد بمباحثها في الدرس الفلسفي إلى يومنا هذا.

أسماء لامعة سطعت في أفق الفكر الفلسفي ولا يمكن أن يكون هناك درسا في هذا الحقل دون المرور على القضايا التي استشكلها كل من: «**رينيه ديكارت**»، «**ايمانويل كانط**»، «**فريدريك هيجل**»، «**كيركجارد**»، «**نيتشه**»، وغيرهم كثير - إلى يومنا هذا-، أسماء لا يتسع المقام لتحليل أعمالهم ولا يتسع أيضا للإشارة بما أسهموا به في الحقل المعرفي الفلسفي، و إنما أردنا أن ننوه فقط بأنّ الممارسة الفلسفية للفكر الغربي مستمرة وكانت ولا تزال تعد كمصدر أساسي ينطلق منه الكثير من الباحثين والمفكرين المنشغلين بالدرس والتمحيص في المجال الفلسفي.

فهل الأمر نفسه في فكرنا العربي الإسلامي؟

ب- الإبداع في الفكر الفلسفي الإسلامي:

لنأتي إلى الإبداع في الفكر الفلسفي العربي الإسلامي، فنجده يتمثل في قضايا ثلاث هي: علم أصول الفقه، علم الكلام، والتصوف.

(١) جورج ريديبوش، **سقراط**، تر: أحمد الأنصاري، -د-ط)، دار آفاق، القاهرة، ٢٠١٤م.

فأما **علم أصول الفقه**: الأصل هو ما يبنى عليه، وبالتالي علم أصول الفقه هو ما يبنى عليه الفقه، الفقه لغة هو الفهم العميق النافذ الذي يتعرف غايات الأفال والأقوال، وهو العلم بالأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، وعلى ذلك يكون موضوع علم الفقه يتكون من: العلم بالأحكام الشرعية العملية، والعلم بالأدلة التفصيلية لكل قضية من القضايا.

ويمكن تحديد الفرق بين الفقه وأصوله في أنّ الأصول هي المناهج التي تحد وتبين الطريق الذي يلتزمه الفقيه في استخراج الأحكام من أدلتها، ويرتب الأدلة من حيث قوتها فيقدم القرآن على السنة، والسنة على القياس، وسائر الأدلة التي لا تقوم على النصوص مباشرة، أما الفقه فهو استخراج الأحكام مع التقيد بهذه المناهج[١].

وموضوع الأصول هو بيان طريق الاستنباط، والفقه يرد على الأدلة يستخرج منها الأحكام الجزئية العملية ومن الأسماء الساطعة في هذا الحقل «**كالشافعي**» و«**الجويني**» و«**الشاطبي**»[٢] وغيرهم

وأما **علم الكلام**: عرفه «**ابن خلدون**» بأنه: «علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين، في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة»[٣]

وبهذا يتبين عنصرين أساسيين في علم الكلام هما: العقائد الإيمانية، والاستدلال العقلي على اثباتها، والدفاع عنها، وهذا الاستدلال فيه جانبان جانب موجب وهو إثبات هذه العقائد بالحجاج عليها، وجانب سالب وهو الردود على المبتدعة، إضافة إلى التصدي للبدع، وابطالها، وعلى كل فعلم الكلام يعتمد الاستدلال وجملة الحجج النظرية المثبتة وطرق الاستدلال على العقائد[٤]، وكانت فرقتا «**المعتزلة**» و«**الأشاعرة**» أبرز الفرق الكلامية بإطلاق.

---

(١) انظر تفصيل هذا: محمد أبو زهرة، **أصول الفقه**، (د-ط)، دار الفكر العربي، ١٩٥٨م، ص ص ٧ - ٨.

(٢) مما يؤسف له أنّ الكثيرين من الباحثين في الفكر العربي- يعتقدون أن لهم باع في الفكر الفلسفي، يستثنون ما أتى به هؤلاء ويستبعدونه تماما عن القضايا الفلسفية، مصنفين اياه في العلوم الشرعية، ناسين أنّ ابن رشد قد فصل في هذا منذ أمد بعيد وهذا مؤلفه فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال حينما قال بأنّ الحكمة هي الأخت الرضيعة للشريعة/ ابن رشد، **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال**، قدم له وعلق عليه: ألبير نصري نادر، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.

(٣) ابن خلدون، **المقدمة**، ط٥، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٢م ص ٧٨٠ - ٨٢١..

(٤) رشدي راشد، **دراسات في تاريخ علم الكلام والفلسفة**، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٤م، ص٥٤.

وأما **التصوف:** فهو نسبة إلى الصوفة كل من ولي شيئا من عمل البيت الحرام قبل الإسلام، وهم الصوفانة، ويميل غي واحد إلى ارجاع التسمية إلى المظهر، وهو لبس الصوف الذي اعتمده عدد كبير من الزهاد قياسا على تسمية «حواريين» اشتقاقا من لبس الثياب البيضاء، وقد يكتفي الصوفي بلبس المرقعة من الصوف وليس كامل الثوب، بأن يأخذ رقعة يلف بها عمامته، وكانت كل طريقة صوفية تعتمد لونا معينا في مرقعتها يميزها عن سواها[1].

ومع هذا ترجع الدلالة إلى صقل الباطن و إهمال الظاهر، اهتمام في العبادة سعيا للحصول على قرب من الذات العلى ولا يشعر الإنسان باللذة إلا بعد أن يحقق أكبر قدر من هذا القرب.

و يمكن القول أنّ هذه المباحث الثلاثة قد ظلت محور التفكير والبحث والدرس منذ أن أرسيت أسسها إلى يومنا هذا، الأمر الذي يدفعنا إلى البحث عن حال الفكر الفلسفي في الوقت الراهن.

٣ـ في تجميد الفكر الفلسفي العربي المعاصر

إنّ المتأمل في الفكر الفلسفي العربي المعاصر مقارنة بالفكر الفلسفي الغربي يجد أنه قليل الطرح في استشكال قضاياه الفلسفية، بل حتى يمكن القول أنّ هذه الأخيرة ماهي إلا صورا ونسخا مكررة لقضايا الفكر الغربي، وعملية استراد الفكر الغربي أصبحت عملة الفكر العربي يتصرف فيها سواء عن دراية أو حتى من دون وعي، إذ نجد بحوثه تكرر وتعيد صياغة القضايا التي أتى بها الآخر، فإذا تناول العقل الغربي قضايا البيو إيطيقا يتجه البحث في الفكر العربي في درسها، و إذا قال الفكر الربي بفلسفة الاعتراف يُخترق مباحثها أيضا في الفكر العربي وهكذا اعتاد العقل العربي على أن يعيد وأن يجتر ما أبدعه الآخر ويحصر أفق تفكيره في ما أتى به العقل الغربي معتبرا هذا الأخير سيده الأول في الفكر والتفلسف.

نرى أنّ قضية التقليد والاجترار قضية آن الأوان أن ننظر فيها وأن نقف برهة لنتأمل مسار اتجاه الفكر الفلسفي العربي، ونحاول قدر الإمكان أن نقوّم الاعوجاج والنقص الكامن فيه، و إنا لنرى أنّ النظر في هذه القضية والوقوف على أسبابها ودوافعها ثم تحديد الحلول الممكنة لأشد نفعا من أي دراسة أخرى، ذلك أنها تعتبر نقطة لإرساء أسس أصيلة في الفكر الفلسفي

(١) أسعد السمحراني، **التصوف منشؤه ومصطلحاته،** ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٧م، ص ص ٢١- ٢٥.

العربي، وهذا من خلال الحث ولفت انتباه الباحثين والدارسين إلى ضرورة تغيير استراتيجية تفكيرهم وخطط مشاريعهم منوهين بأنّ الآخر الذي يقلده عندما يطرح قضاياه فإنما يطرحها من باب تجربته الواقعية وتجربته المعاشة أيضا، ولم يخدم مصالحه هو دون غيره، فهل يعقل أن نستورد ما حلله الآخر بما يخدم إطاره الزماني والمكاني وبيئته الجغرافية والاجتماعية ونحاول جاهدين أن نسقطه على وضع مغاير تماما، هل يكون الدرس في هذا الحال درسا علميا موضوعيا يُستفاد منه، أم هو مجرد اهتمام بالكم المعرفي لا الكيفي؟ تساءل أدى بنا إلى البحث عن أسباب هذه العوائق التي تحيل دون الأداء الفعال. لفعل التفلسف فضلا عن الإبداع فيه

٤ـ أسباب وعوامل التجميد الفكري

يمكن أن نحصر أسباب الجمود الفكري الذي خيم على الفكر الفلسفي العربي لحقب من الزمن في ما يلي:

أ ـ ضعف مناهج التدريس:

إنّ المتأمل في المناهج المعتمدة في تدريس الطلبة يجد - حسب اعتقادنا- أن فيها نقص في تهيئة الطالب للممارسة الفكرية الفلسفية، ولتزويده أيضا بآليات وأدوات التفلسف.

فالدروس المقدمة في المرحلة الثانوية، دروس تلقنه تلقينا ما جاء في القضايا الفلسفية في اشكالاتها ومباحثها، والأمر نفسه في مرحلة الجامعة، إذ لا يتعدى الأمر قراءة وتحليل لما قاله الفيلسوف الفلاني أو المذهب الفلاني، وهنا نجد أنفسنا أمام سؤال يطرح نفسه وهو هل نحن نعلم طلبتنا كيفية التفلسف - و إنا لنرى أنّ هذه هي الغاية المرجوة- أم أننا نلقنهم قضايا جاهزة، هل نحن فلاسفة منتجين لفلاسفة أم أننا مجرد دارسين لها فقط ملقنين قضاياها تلقينا.

كيف ننتظر من جيل دارس للفلسفة لم يحتكم حتى على كيفية التفكير الفلسفي بأن يأتي لنا بأفكار جديدة وبأن يبدع في هذا الحقل المعرفي؟

وهنا يحضرني ما خطه «**دفيد هيوم**» في مؤلفه « **رسالة في الطبيعة البشرية**» وهو يخبرنا بأنه قد وضع مخطط مشروعه هذا قبل سن الواحد والعشرين وأتمه في سن الخامسة والعشرين[1]،

(١) دفيد هيوم، **رسالة في الطبيعة البشرية**، تحقيق: عبد الكريم ناصيف، ط١ دار الفرقد، ٢٠١٦م.

وهنا نتساءل عن حال ابن الواحد والعشرين والخامس والعشرين من طلبتنا ما عساه أن يقدم في هذا الحقل المعرفي، فضلا عن المفكر العربي المختص في هذا المجال.

ب- اعوجاج سياسة التوجيه:

كلنا يعلم أنّ طالب الفلسفة هو طالب اختصاص الآداب، والآداب لها فروع عدة، والمتأمل فيما يحدث في ساحة توجيه الطلبة في المؤسسات التعليمية والمنشئات الأكاديمية يجد أنّ التوجيه في هذا الاختصاص - اختصاص الفلسفة- يكون في غالب أحيانه من نصيب الطلبة ذو المعدلات المتوسطة، أو حتى الضعيفة، وهنا نجد مفارقة صارخة ففي حين أنّ هذا الاختصاص وكما هو معلوم يتطلب قدرة على التجريد وعلى التأمل حتى يكون باستطاعة الطالب استوعاب الفكرة الفلسفية، نجد التوجيه مقتصرا على طلبة لا تتوفر فيهم هذه الصفات، فكيف ننتظر من هؤلاء أن ينتجوا وأن يبدعوا مستقبلا.

أما وأن نظرنا إلى توجيه الطلبة في الأكاديمية الغربية، نجد أنّ اختصاص الفلسفة يصنف أعلى هرم التخصصات لا أسفله كما هو الحال في الأكاديمية العربية. وهذا كفيل بأن يجيب عن كل التساؤلات التي نطرحها فيما يخص توقف الإنتاج أو الإبداع الفكري في الفلسفة العربية.

ج- تماهي الأنا المفكرة في فكر الآخر:

إنّ المتأمل في الفكر الفلسفي العربي يجد أنه في غالبيته بشكل أو بآخر يتحدث عن الإنتاج الفكري للآخر، وهذا ما استقرأناه من تأملنا في ما كان من انتاجه، سواء في البحوث الأكاديمية أو في المؤلفات التي أدلى بها المفكرون، التي تكون درسا حول الفكر الآخر، و إعادة لما أتى به وما ذهب إليه وما قاله، أما وأن يدلي الباحث أو المفكر برأيه هو وبموقفه هو فهذا غائب من ساحة الإنتاج الفكري تماما، لهذا كانت مسلمة الإتيان بما قاله الآخر في الحقل المعرفي الفلسفي والنظر إليه على أنه خوض في لب الفكر الفلسفي منهج اتبعه الكثير، وهذا اعتبار باطل لأنّ الباحث هنا يتحول من باحث ومفكر إلى رسول للفكر ينقل فكر هذا وفكر هذا متجاوزا نظرته هو ورأيه هو في ابتكار القضايا وفي تحليلها، لنجد أنفسنا في النهاية أننا مجرد رسلا للفكر للفلسفة لا مفكرين لا متفلسفين، فيصدق علينا الرأي القائل بأنه لا وجود لفكر فلسفي عربي إسلامي.

والأمـر نفسه بالنسبة لبعـض المفكرين الذين نجد أعمالهم قد اقتصرت على الترجمة ونقل فكـر الآخر إلى سـاحة الفكر العربي، اجتهاد يُحمدون عليه لكـن سرعان ما ينقلب إلى جانبه السلبي إذا ما اعتبر المفكر والمعول عليه أنّ هذه هي وظيفته و إسهامه الأول والأخير، فيكون تبعـا لهذا مشـكلا عاملا مـن عوامل توقـف الإنتاج الفكـري، فبدلا من أن يعطي إسـهاماته هو في الفكر وأن يستشكل قضايا تخدم الفكر تجده يحصر عمله في نقل فكر الآخر!.

وتظل الأسـباب والعوائق ممتـدة تطول كافة المجالات والأصعـدة الفكرية، الأمر الذي دفعنا إلى وضع حلول يمكن أن تساهم ولو بالقدر القليل في تفعيل الفكر وجودة إنتاجه، حلول اقترحناها في ما يلي:

٥ـ في الحلول المقترحة

تعتبر دراستنا هذه، بمثابة تنبيه ودعوة للوقوف برهة في انتاجنا وفي وضع مخططنا الفكري، الذي اعتدنا أن نضعه بشكل يتطلب منا التريث وهو قبل الإتيان بفكر الآخر نتأمل في فكرنا نحـن وفي نضرتنا نحـن، نتأمل في القضايا الواجب النظر فيها من دون أن ننظر إلى نظرة الآخر إليها، هذا ما ينقصنا وهذا ما يخصنا إذا ما أردنا أن يكون هناك إبداعا في فكرنا الفلسفي العربي الإسـلامي، لـذا وضعنا بعضا من النقاط الأساسـية التي نراها ضرورية لازمـة لتحقيق الغاية المرجوة وهذا في ما يلي:

أ ـ تجديد مناهج التدريس:

و فيه نحاول قدر الإمكان أن نزاوج بين التلقين والممارسـة الفعالة للتفلسف، فلا يقتصر عملنا على تزويد الطالب بما قاله فيلسوف ما أو مفكر ما في القضية، بقدر ما نعوده على نظرته هـو ورأيه هو وموقفه هو وهذا باسـتخدام المصطلحات الأصيلـة لا المستوردة وبإبداء الرأي والموقف بشكل يتماشى والموضوعية، معزز آراءه ومواقفه بالحجج العقلية والبراهين المنطقية، و بهذا نساهم بشـكل إيجابي في تخطي عتبة الاجترار التي ميزت الفكر العربي لحقب من الزمن كما نساهم في عملية فتح آفاقا فكرية لم يسبق بعد لأحد أن قال بها.

ب ـ إعادة النظر في توجيه الطلبة:

كلنـا يعلـم اللافتة التي وضعها أفلاطون فـوق باب أكاديميته والتي قـال فيها: «لا يدخل

الأكاديمية إلا من ألم بعلم الهندسة»، وهذا إن كان يدل على شيء فإنما يدل على الاستعداد القبلي لطالب الفلسفة ولدارسها، إذ يشترط فيه أن يكون رياضيا له قدرة على التجريد وعلى الاستدلال العقلي، لذا نرى أنه ليس من الضروري ربط تخصص الفلسفة بالآداب بل نفسح من مجال التخصص إلى العلوم والرياضيات، وتاريخ الفكر الفلسفي يثبت أن العديد ممن أبدعوا في هذا المجال كانوا ذوي اختصاص في الرياضيات والفيزياء والطب «**كديكارت**»، و«**هسرل**» وغيرهم.

ج- ضرورة التفاعل والتجاوب مع الفكرة:

إنّ الفكرة تحيا إذا ما أريد لها ذلك، وهذا بمحاولة إثراءها والترويج لها واستنباط مكنوناتها، بمحاولة إيصالها إلى أبعد مدى، وبالمقابل نجد أنها تُطمس وتخمد إذا لم تجد من يتجاوب و يتفاعل معها.

لذا ندع إلى الأخذ بعين الاعتبارات النظر والتأمل في أتى به الفكر الفلسفي العربي المعاصر لمفكرينا أمثال: محمد عابد الجابري، طه عبد الرحمن، حسن حنفي وغيرهم، نحلل ونناقش ما أتوا به من آراء ومواقف في شتى المجالات والقضايا الفلسفية.

ومن جهة أخرى لا نتسرع في إصدار الأحكام المسبقة وهذا ما رأيناه من قبل العديد من الباحثين في الفكر العربي، والذين يتفقون مع الفكر الإستشراقي في عدم وجود فكر فلسفي في الفكر العربي الإسلامي، وأنّ الفلسفة هي ما جاء به العقل الغربي فقط وهنا نتساءل عن صحة هذه الأطروحة، فهل فعلا لا يوجد فكر فلسفي إلا الفكر الفلسفي الغربي، أم أنّ العيب يرجع إلينا وهذا في عدم مقدرتنا على نفض الغبار وكشف الحجب عن انتاجنا؛ فإذا كان الغربي قد لقي من يبحث و يؤرخ لفكره ولإنتاجه مما أدى إلى القول بوجود ممارسة فلسفية في الفكر الغربي، فهل هذا موجود في الفكر العربي الإسلامي هل وجد هذا الأخير من يروج و يؤرخ له حتى نحكم بالنفي المطلق لوجود الممارسة الفلسفية له، وهنا يحضرني ما كان من المفكر «**إحسان الحيدري**»، صاحب «**فلسفة الدين في الفكر الغربي**»، مؤكدا على عدم وجود مباحث فلسفة الدين في الفكر الفلسفي العربي الإسلامي، وهي تخص الفكر الغربي وحده باعتبار أنّ الفكر العربي الإسلامي لا يستطيع أن ينسلخ من عقيدته و ينتقد الدين أو حتى أن يتعقله، ، لنجد أنّ حكمه هذا فيه ظلم في حق العقل العربي، وتعجل في إصداره، وحجتنا في ذلك

أنّ ما أتى به «**ابن طفيل**» في روايته «**حي ابن يقطان**»[١]، يضاهي ما أتى به «**إيمانويل كانط**» في مؤلفه «**الدين في حدود مجرد العقل وحده**»[٢]، و«**فريدريك هيجل**» في «**محاضرات في فلسفة الدين**»[٣]، اللذان يعتبران حاملي لواء مباحث فلسفة الدين. ل ما أتى به «**ابن طفيل**» الذي نرى أنه قد سبقهم في الخوض في مباحث فلسفة الدين، فلم يتم اصدار الحكم بالنفي المطلق دون أن تكون هناك دراسة مسبقة موضوعية لإصدار هذا الحكم؟. وقس على هذا مباحث وقضايا عديدة لم نستطع أن نكتشفها لحد الساعة.

خاتمة

وختاما يمكن القول أنه لا أحد يستطيع أن ينكر مباحث فلسفية قائمة بذاتها في الفكر العربي الإسلامي، إنكار كان سبب الأول والأخير ما أصاب الفكر العربي من جمود وتوقف في عملية الانتاج، هذا الأخير الذي حصره في دراسات تدور في قضاياه المعروفة، أو تعيد ما كان من فلاسفة العرب وما ذهبوا إلى إعادة تفتقر إلى التجديد، أو تجتر القضايا التي يستشكلها العقل الغربي بين الفينة والأخرى، مما دفعنا إلى التساؤل عن أحقية العقل العربي بالفكر الفلسفي، أين هي قضاياه وأين هي فلسفته المعاصرة الأصيلة التي لم تتأثر بأي موروث سابق، وعليه يمكن حصر نتائج دراستنا في النقاط التالية:

- إعادة النظر في فعل التفلسف الممارس في مؤسساتنا التعليمية ومنشآتنا الأكاديمية في وطننا العربي، والدعوة إلى ممارسة هذا الفعل ممارسة صحيحة لا مغالطة فيها ونكون قدر الإمكان متفلسفين لا رسلا لفلسفات غيرنا.
- عدم تطويق الفكر الفلسفي في الإنتاج الغربي، والعمل على دمج الفلسفة العربية في البرامج المقررة على الطلبة، ودمجها أيضا في عملية البحث والدرس الأكاديمي.
- تجاوز البحوث التي تتناول فكر الآخر وما ذهب إليه وما قال به إلى إبداء الرأي

(١) انظر تفصيل هذا في ابن طفيل، **حي بن يقضان**، (د-ط)، مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠١٢م.

(٢) انظر تفصيل هذا في إيمانويل كانط، **الدين في حدود مجرد العقل وحده**، تر: فتحي المسكيني، ط١، جداول، بيروت، ٢٠١٢م.

(٣) انظر تفصيل هذا في فريدريك هيجل، **محاضرات فلسفة الدين**، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، (د-ط)، دار الكلمة، القاهرة، ٢٠٠١م..

القائم على الحجة العقلية والبرهنة المنطقية، وتعزيز الثقة بالنفس وهذا في استشكال قضايا ومباحث جديدة في الحقل المعرفي الفلسفي، وبهذا نتغلب على الاجترار وتقليد الذي وصم فكرنا لحقب من الزمن.

- التجاوب والتفاعل مع الفكر الفلسفية العربية، لأنّ الفكرة تحيا إذا وجدت المتلقي الجيد لها، فكم من فكرة لها من القيمة العلمية والمعرفية قد طمست في الفكر الفلسفي العربي طمسا بسبب القراءة المتهكمة السلبية الناقدة بشكل ذاتي وبحجج باطلة زائفة، وكم من فكرة في الفكر الفلسفي الغربي على قدر بساطتها إلا أنها قد بلغت أفق الفكر الإنساني بسبب القراءة الجيدة والتجاوب الفعال

- وجملة القول وزبدته أنا نحن من يبدع ونحن من يستنبط جواهر ومكنونات الفكر الفلسفي العربي، ونحن أيضا من يعمل على إخماده ودفعه بعيدا عن ساحة الفكر الإنساني.

قائمة المصادر والمراجع

١- ابن خلدون، **المقدمـــــــــة**، ط٥، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨٢م.

٢- ابـن رشـد، **فصـل المقـال فيما بين الحكمـة والشريعة مـن الاتصـال**، قدم له وعلـق عليه: ألبير نصري نادر، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م.

٣- ابن طفيل، **حي بن يقضان**، (د-ط)، مؤسسة هنداوي، مصر، ٢٠١٢م.

٤- إيمانويـل كانـط، **الدين في حدود مجـرد العقل وحده**، تر: فتحي المسكيـني، ط١، جداول، بيروت، ٢٠١٢م.

٥- أحمـد أمـين، زكي نجيب محمود، **قصة الفلسفة اليونانيـة**، ط٢، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

٦- أسعد السمحراني، **التصوف منشؤه ومصطلحاته**، ط١، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٧م.

٧- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، (د-ط)، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م.

٨- جورج ريديبوش، **سقراط**، تر: أحمد الأنصاري، -د-ط)، دار آفاق، القاهرة، ٢٠١٤م.

٩- دفيـد هيوم، **رسـالة في الطبيعـة البشرية**، تحقيق: عبـد الكريم ناصيـف، ط١ دار الفرقد، ٢٠١٦م.

١٠- رشـدي راشـد، **دراسـات في تاريخ علم الكـلام والفلسفة**، ط١، مركز دراسـات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٤م.

١١- فريدريـك هيجـل، **محـاضرات فلسفـة الدين**، تـر: مجاهد عبـد المنعم مجاهـد، (د-ط)، دار الكلمة، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٢- محمد أبو زهرة، **أصول الفقه**، (د-ط)، دار الفكر العربي، ١٩٥٨م.